العاقبة

أو

الموت والحشر والنشور

للفقير الزاهد المحدث

أبي محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي

حققه وعلق عليه

عبيد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري

دار الصحابة للتراث بطنطا
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

كتاب قد حوى دررًا ... بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيهًا

حقوق الطبع محفوظة

لدار بطنطا

الصحابة للتراث

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

ت: ٣٣١٥٨٧ ص. ب. ٤٧٧

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

الطبعة الأولى

سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق :

« إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئآت أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران – ٣ : ١٠٢] ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء – ٤ : ١] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيما** ﴾ [الأحزاب – ٣٣/٧٠ – ٧١] أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، نعوذ برضا الله العظيم من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته والخذلان ونعوذ به تعالى من فتنة القول ومن فتنة العمل ، ونسأله – جل جلاله – أن يرزقنا الإخلاص والتجرّد لوجهه الكريم – وأن يكون – عزّ اسمه – من وراء قصدنا ، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه .

« وبعـــد »

فهذا كتاب جديد ، يكون بين يديك – منشورًا – لأول مَرّة – قيّضنا الله الكريم لإخراجه عن أصله المخطوط – المحفوظ بظاهرية دمشق – حفظها الله – بعد أن وفق الله – أخانا البحّاثة المتجرّد – خادم العلم وأهله – الأستاذ الفاضل صاحب

دار الصّحابة للنشر والتحقيق والتوزيع حفظها الله الحافظ – للحصول على نسخة مصورة بالفوتوغراف – منه وهذا – ولا مرية – فضل آخر جديد – يضاف إلى فضله القديم الكثير فى التنقيب عن دفائن الدّرر ومطمورات الجوهر واستخراجها من مدافن الهملة لتقريبها للناس والنفع بها ؛ نفع الله تعالى به .

وأجدنى مدفوعًا – بشدة – إلى تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لهذا الرّجل النَّبيل ، الذى قَلَّ – فى علمى – أن تجد فى مثل نُبْله أحدًا فى أيامنا هذه ؛ « وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » .

وأثبت شكرى وتقديرى وعرفانى – بخط يدى – لأياديه البيضاء الكثيرة ، على أهل العلم – عامّة – وعلىّ بخاصّة – وإنى إذ أشكر له جميل صنعه ، فإنى لا أفعل ذلك من باب أن « القلوب جبلت على حُبِّ من أحسن إليها » فَحَسْب ولكنى – والله – لا أعدو تقرير فضله وما له من معروفٍ طوّق به عنقى – ما أظن أن تذهب به الأيام . و « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » (!) فشكر الله له ، وأجزل مثوبته وجزاه أجره بأحسن ما كان يعمل .

والله – فى عليائه – يشهد – وكفى بالله شهيدا – أنى لا أقول ذلك من حيث لا أدرى (!) فإنى قد تعلمت أن لا أقول إلا بما أعلم ، ولا أشهد إلا بما أستيقن ، وإنى لأعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والخير كله من عنده ؛ وإن لى من دينى ما يمنعنى – إن شاء الله – من أن أتزلّف أحدًا ، أوْ أن أداهن أحدًا ؛ وإنما – فقط – أقدّر ما للرّجل من فضل ، فإنما يعرف الفضل من الناس أهلِ الفضل ؛ وإلى الله المصير وجَزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه – أخانا أبا إسحٰق الحوينى الأثرى – الذى كان سببًا فى تعارف أجسادنا بعد أن تعارفت أرواحُنا فى أزل الله القديم فالله الكريم أسأل أن يجمعنا فى « دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نَصَب ولا يمسّنا فيها لغوب » كما جمعنا على محبته فى دار الفناء بفضله وعظيم مَنّه إنه سبحانه أكرم مسئول وأبرّ مأمول ... آمين .

* * *

وأما بخصوص التمهيد للكتاب والتعريف بموضوعه وما يحتويه ، فهذا غير خافٍ حتى أبيّنه ؛ وسوف لن أسهب طويلا فى الكلام على ذلك ، فعمّا قليل

ينجلى ؛ وإنما بدَا لى أن أبيّن بعض أشياءَ لحظتُها من خلال عملى ، أحببت أن أوردها على القارىء الكريم قبل الشروع فى بيان منهج العمل ؛ إن كان لى من عمل يستأهل أن يُعمل له منهج أصلا (!) فقد :

(١) لاحظت – وهذه عندى – أخطر ما يُلاحَظ بالنسبة لعمل الباحث أن المصنف رحمه الله قد يستشهد لكلامه ويستدل له بحديث قد يكون ضعيفًا – ضعفًا لا يكاد يقوم معه – وقد يكون فى الباب غيره مما هو أقوى منه وأصح (!) والمفترض فى المصنف – رحمه الله – وهو الفقيه الخبير بالعلل – كما وصفه الناس – أن يكون عالمًا بذلك عارفاً به فيُنَحّيه عن كتابه تنقيةً له من شائبات الكدر ، ودفعًا لتعقب المتعقب (!) ولكن لا بأس (!) فما أعلمُ سَلَمَ من ذلك أحد – إلا ما شاء الله (!) ودونك الحفاظ الكبار ؛ كانوا يصنعون ذلك فى تواليفهم ؛ لا سيّما فى الفضائل والترغيب والترهيب والرّقاق والزهد وما إليها ، وما كانوا يتخيرُّون أو يتحرَّوْن الصحيح ويشترطونه دون غيره – فى مثل هذه المُصنفات (!) قال الحاكم – رحمه الله –: سمعت أبا زكريّا العنبرى يقول : إذا ورد الخبر لم يُحرّم حَلالاً ، ولم يحلّ حرامًا ولم يوجب حكما ، وكان فى ترغيبٍ أو ترهيبٍ أغْمِضَ عنه وتُسُوهِلَ فى رواته » أ.هـ وأخرج البيهقى فى « المدخل » عن ابن مهدى – رحمهما الله –: إذا روينا عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الحلال والحرام والأحكام شَدَّدْنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرّجال ؛ وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب سهلنا فى الأسانيد وتسامحنا فى الرّجال » ا.هـ

وللإمام أحمد – رحمه الله تعالى – كلام له هذا المعنى والله تعالى أعلم فحاصله : أنهم كانوا يتساهلون فى مواطن التساهل ويَتَشدَّدُون فى مواطن التَّشَدُّد حسب ما يقتضيه الحال ، راجع كلامهم فى كتب المصطلح يشفيك ، وقد أبى الله تعالى العصمة إلا لكتابه .

٢ – – لاحظت – كما سيلاحظ القارىء الكريم – أن المصنف – رحمه الله – كثير النقل عن كتاب « إحياء علوم الدين » – رحم الله مصنفه أبا حامد الإمام الغزالى – حتى إنه لينقل فقرات بكاملها وَبِوَضْعِهَا فى « الإحياء » كما عاينت

بنفسى (!) وليس فى ذلك ما يُعاب (!) فما زال الناس ينقل بعضهم عن بعض ، ويقتبس بعضهم من بعض – سيّما وأن المقاطع التى اقتبسها ، إنما هى فى الرّقائق والوعظيات التى اشتهر بها الإحياء – كما يعرفه من له إلمام به .
وإنما الذى يُعاب – وهذا على عمومه – فهو النقل دون تمحيص (!) والتعويل فى الاستشهاد والاستدلال على تلكم الإسرائيليات التى لا يُحْتَجّ بها فى شرعنا ، والتى كان يوردها أبو حامد رحمه الله مُعَلَّقةً تعليقًا تنقطع دون وصله الرّقاب (!) والتى يَعْسُر – إن لم يَسْتَحِلْ – أن تَرِدَ أخبارها – حتى فى غير كتاب أبى حامد – مسندةً موصولةً ، فضلا عن وجود نظائرها وأشباهها بوفرة فى قرآننا وفى سنّة نبيّنا صَلّى الله تعالى عليه وآله وسلم – بما يغنى عن اللجوء لغيرها (؟!)

٣ – لحظت جنوح المصنف – رحمه الله – إلى الفصل فى قضية فقهية – ما – إلى ما قد يراه البعض مخالفا لما عليه الجمهور سيّما فى الخلافيات الفقهية – كأن يحمل أمراً تكليفيا على الإباحة – [مثال : (٣٤٩) قد يراه البعض محمولا على التحريم مثلا كما ستراهُ فى موضعه إن شاء الله تَعالى – ولا غرابة (!) فالرجل مجتهد وله رؤيته ، وهذا وإن كان قليلا – إلا أننا نشير إليه وننبه عليه لأنه صدر عن رجل اشتهر بتصنيفه فى الأحكام ، وهو إمامُ عامَّة رحمه الله تعالى وغفر لنا وله .

٤ – لاحظت أن المصنف دائم النقل – تَقْريبًا – عن صحيح الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج وتقديمه على صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى – رحمهما الله – وهذا بخلاف الأولى – كما يعرف ذلك من له أدنى مُسْكَة من هذا العلم الشريف (!)
وهذه – إن وجدنا لها وجها – وهو شيوع صحيح مسلم واشتهاره عند المغاربة أكثر من صحيح البخارى ، فإن الذى يلفت النظر – أن المصنف قد يسوق حديثا هو فى الصحيحين – أو أحدهما – ويعزوه لغيرهما – سواء من الكتب المشهودة أو الأجزاء المنثورة فهذا أيضا بخلاف الأولى ؛ فالعزو إلى الصّحيحين أو أحدهما – فضلا عن تعزيز هذا العزو بجلالة الكتابين – مُقدّم على غيرهما (!) ولم أستطع توجيه ذلك من المصنف سوى أنه كان – رحمه

الله – يكتب من حفظه ، فلما أن يستحضر الرّواية ؛ ولا يكون فى نفس الوقت مستقرًا عنده – بِقَطْعٍ – أنها فى الصَّحيحين أو أحدهما فإنه كان يَتَهَيَّب من العَزو إليهما ، فيعزوها لِمَن يكون متيقنا من أنه أخرجها فى كتابه أو أنه يبعد عدم وجودها فيه – سيّما الكتب المعروفة بالاتساع أو كتب الفوائد أو نحوها وأرى منه – ذلك – عين التعقل وورود موارد السلامة فتأمل (!) فإن العزو إلى غير الصحيحين مع وجود الحديث فيهما أسلم وأنجى من العزو إليهما مع العكس (!) يعضد هذا أن الكتاب عارٍ عن الأسانيد التى هى إحدى القرائن التى بها يُعرف هل أخرجا هذا الخبر أم لا (؟!) هذا ما ظهر لى فى هذا الخصوص ، وأرجو أنى به أصبت الصّواب ، وإلا فأستغفر الله العظيم وأتوب إليه .

٥ – لاحظت – وأزعجنى – بل وساءَنى هذا كثيرا ، ولم أذْرِ برأس من أعصب جنايته – إيراد الآيات القرآنية الكريمة مسوقة مساقًا واحدًا وفى سلكٍ واحدٍ دُونَما آيّة فواصل أو حدود تُنَبِّه على الانتقال من سُـورَةٍ إلى أخرى (!) هذا فضلاً عن بعض الأخطاء (!) مختلفة الأنواع فيها (!) والخطر إنما يكمن فى أن الآيات تكون كثيرة ، من سور كثيرة فى موضع واحدٍ (!) ومع عدم وجود تلكم التَّنْبِيهَات بالفواصل أو الحدود بينها ، فإنه لا يُؤْمَن على غير الخبير بالقرآن أو غير الحافظ أو غير العارف بِمُتَشَابِهَاتِ القرآن – من الوقوع فى اللبْس أو الخطأ (!) فإن أقلّ ما يُتصور حدوثه هو تَصَوُّر ذلك القارىء – خطأً – أن كل هذه الآيات هى من سورة واحدة (!)

الأمر الثانى – فى صدد سرد الآيات – هو عدم مراعاة الترتيب فإن المصنف رحمه الله – كان عندما يستشهد بالقرآن ، يسوق الآيات كيفما اتفق له الاستحضار (!) فقد تكون الآية من سورة الواقعة – مثلا – فأجدها مُقَدّمة على الآية من سورة البقرة ، والمعنى مُتّحِد – تقريبا – فيهما (!) ولا نقول أن هذا يُخِلّ بالمقصود ، أو أننا نُفَضِّل آية الأنعام على آية النحل ؛ ولكن كنا نودّ لو أنه راعى الترتيب ، أما كان أجود (؟!) الله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ... وبعد فأرجو أنّ ما تَوَقّفْتُ عنده – فيما أوردته آنفا – كان جديرًا بأن

يُلحَظ ، وأنى لم أسوّد وجوه الصَّحائف بما لا طائل وراءَه والله عز وجل من وراء الرجاء لا ربَّ غيره .

* * *

أَمَا وقد آنَ أوانُ الشُّروع فى بيان منهج ما قمتُ به – بحول الله من عمل – فى هذا المخطوط النافع – إن شاء الله تعالى – فلا بُدّ لى من أن أسوق بين يَدَىْ ذلك اعتذارا عما قد يراه القارىء الكريم من عوار – مَا أحدٌ منه بمنأى – والكمال المطلق لله جَلّ ثناؤه – فإنه قابلتنى خُرُومٌ – بالأصل المُصَوَّر – كثيرة وبياضات لم أستطع حيالها شيئًا ، فإن الأمانة العلمية تقتضى نقل ما فى الأصل – بنصّه وفصّه – بلا زيادة ولا نقصان – ووضعه بين يدى القارىء – بعد تحقيقه بالمنهج العلمى وبالأصول التى اصطلح عليها الناس – فاقتضى ذلك أن أترك بعض السّقط والبياضات – لاسيّما من كلام المصنف نفسه – طلبًا للسلامة من الافتيات عليه وتقويله مالم يَقُل وفى ذلك ما لا يخفى (!؟!) وأمّا النصوص المنقولة – من آيات قرآنية كريمة ، أو أحاديث نبوية شريفة ، أو قواعد فقهية ، أو فقرات من كتب الغير – فقد بذلت فيها جهدى ونصحت وما أَلَوْتُ ، ولم أدَّخر وسعًا فى ضبط ما أشكل منها – بإرجاعها إلى أصولها المتاحة ومطابقتها على جميع مظانّ وجودها زيـادةً فى الاستيثاق والاستبراء للعرض والدّين ، فإن نَدَّ – بعد ذلك – منى شىء – فهو مِمَّا لا مَنْجَى لأحدٍ من مقارفته ، وَصَلّى الله وسلم على أنبيائه المعصُومين .

ولعلى – بما جهدتي فى هذا العمل – جهدًا لا يعلمه سوى من ابتغيتُ به وَجْهَهُ الكريم – أكون قد أعذرتُ إليه – تقدّس وجهه – فإنه سبحانه – خير من يُرْجىٰ نواله ﴿ وهو الذى يقبل التّوْبَة عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوْا عَن ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٤٢ : ٢٥]

عملى فى الكتاب :

١ – تخريج الأخبار الواردة فى الكتاب – بمعنى الدلالة على مواضعها من كتب السُّنة المشرّفة – مقرونة بذكر الجزء والصفحة ، وجمع طرق الحديث واستقصاء أطرافه – قدر الوسع وفوق الوسع – والكلام على ذلك – جرحًا

وتعديلا – حسب أصول الصّنعة ، من المصادر المتاحة ، وإلا فأحيل على مواضعها فى الكتب التى مازالت رهينة الأرفف فى خزائن الكتب (!!!)

٢ – شرح الغريب والمشكل ، وإيراد النّكت الفقهية والأصولية واللغوية والحديثية وغيرها – ما وجدت إلى ذلك داعيًا وسبيلا من المصادر المعتبرة والتى سأفرد لها جريدة مفصلة فى آخر الكتاب إن شاء الله .

٣ – الاكتفاء – أحيانا – بإيراد الحديث برواية الصحيحين – أو أحدهما – إن كان الخبر فيهما – لجلالتهما – ولأن الناس – سيّما من اشتغل منهم بهذا الفن – يصرف بصره عن الخبر – ثقة بصحته – إن كان معزوًّا إلى الكتابين الجليلين – إلّا أن يدعو داعٍ لغير ذلك – فنبّينه – أو الاكتفاء بالدلّالة على موضع الخبر فى المصدر الذى أحال عليه المصنف رحمه الله – مع النقد .

٤ – فى بعض الأحايين – وذلك قليل – أُقَدّم ذكر غير الصّحيحين عليهما ، وذلك لأمور فنّية ؛ كأن يكون صحابى الحديث – رضى الله عنه – غير الذى عندهما – ثم أردفه بقولى : « ويشهد له ما فى الصحيحين من طريق فلان عن أبى هريرة (مثلا) ونحو ذلك مما يعرف بداهة ، فليُتَنَبَّه إلى ذلك – حتى لا يقول قائل : « ها .. قد أخلّ بما اشترطه من تقديم الصحّيحين .. » فيجنى علينا دونما جناية منّا (!!)

٥ – اتباع المنهج العلمى ، الخاضع للأصول والقواعد التى وضعها أصحاب الشأن – لله درّهم وعليه شكرهم – فقد لا أتقيد بتصحيح إمام أو تضعيفه لحديث ما – إذا تَبَيَّن لى أنّ التحقيق بخلافه – وإنما جعلت كل همّى إعمال القاعدة العلمية حسبما وضعها الناس وتلقيناها عن علمائنا – رضى الله عنهم – وليس من ديدنى أن أرفع متقدِّمًا لتقدّمه أو أضع متأخرًا لتأخّره – بل هو المقياس العلمى ولا شىء غيره وإن أرجف مُرْجِفون وزعَمَ زاعمون (!!) فإن هذا العلم دين ، والتوفيق فيه – وفى غيره – من الله رَبّ العالمين .

٦ – لم أجعل من شأنى تخريج المقاطيع والمراسيل والموقوفات ونحوها – إلا ما يسّره الله تعالى ودعا إليه داعٍ وفى الأخبار المرفوعة – وهى كمٌّ جمٌّ – الغَنَاءُ إن شاء الله .

٧ – وضعت أرقامًا عدَدَية مسلسلة لما ورد بالكتاب من أخبار – من أوله إلى آخره – إلا ما شذّ عنى فى بياضات الأصل – وكذا رقمت لجميع ما علقته من حواشى .

٨ – لله دَرّ من قال :

ولا تكتب بكَفّك غير شيءٍ يُسرّك فى القيامة أن تراهُ (!)

وكان من تقدير الله العزيز الحكيم – أن حضر – دون استحضار – هذا البيت فى ذهنى إبان عملى فى الكتاب ، وعليه فلم يسعنى الإبقاء على الأخطاء والأغلاط والتصحيفات والتحريفات وغيرها مما ورد بالمخطوط ، وبين يدىّ من الأصول ما تتواطأ رواياته على إصلاح ذلك (!) نعم : الإبقاء على الأصل – كما هو – مطلوب ، ولكن الخطر من ذلك يكمن فى أنه قد يثبت الخطأ فى ذهن القارىء ، ويَعْسُرُ بعد ذلك تصحيحه ، حتى ولو أثبتّ ذلك التصويب فى حاشية الكتاب فى أسفل الصّحيفة ، والنفس البشرية مَلُولة ، مستوطنة للعجز جانحة للكسل – إلّا ما شاء الله – فأحيانا تجدنى أصلح الخطأ فى الأصل ذاته – مُنَبّهًا عليه ومُعْلِمًا عليه – وفى غالب الأحيان أنبه على ذلك فى الحاشية ، دفعنى إلى ذلك ما أسلفت بيانه من خشية ثبوت الخطأ ، وأضيف أن كثرة انتقال النظر بين المتن والحاشية – مع كثرة وجود الأخطاء – قد يُسبب نوعا من الإملال الذى قَدْ يَدَعُ المرءُ – من جرّائه – الكتاب جُمْلَةً (!) وهذا كتاب وضعه صاحبه لعامة الناس الذين ليسوا فى حاجة إلى أن نُعَنّيهم – أكثر – بما سبق ذكرُه ، فَصَنَعْتُ – سَدًّا لِتِلْكَ الذّريعَةِ – ما صنعتُ ، والله تعالى من وراء القصد .

٩ – فى بعض الأحيان – وذلك قليل – أثبت رواية البخارىّ رحمه الله تعالى – فى تعليقى – حتى ولو كان حديث الباب من رواية مسلم – أو روايتهما جميعا – فإن مما أدين الله تعالى به – وما هو معلوم – حتى عند أغمار الناس وأفنائهم – أن كتاب أبى عبد الله – قدّس الله رُوحَه وروَّحَ ضريحه – أصحّ صحيحا مِمَّا سواه من الكتب المُصَنفة فى السُّنّة قاطبة ، وكان مِمّا تَرَبّيْتُ على اعتقاده أن « صحيح الإمام البخارى أصحّ الكتب بعد كتاب الله جَلّ ذكره » (!) نعم اكتشفت بعدما كبرت أن فيه بعض هَنَاتٍ – يطمرها

ويكتسحها بَحْرُهُ الزّخار وَسَيْلُهُ الجرّار – لا تستحق عِرْفَانًا بفضل البخارى العظيم أن تُذكر – إذْ هِيَ – والله – أشبه شيءٍ برمية صبيٍّ صغير بحصاة فى بحر لا ساحل له – ولكنى اكتشفت أيضا الحكمة العظمى وراء وجود هذه الهنات الصّغار فى هذا الكتاب الأجَلّ – ذلك لكى تكون العصمة المطلقة لكتاب واحد على ظهر هذه الأرض – هو القرآن العظيم – كتاب ربنا العزيز – الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (!) أعرفتَ الآن (؟) فألزَمْ ، ولا يهولنك إفكُ الأفّاكين ولا دعاوى المُتَخَرِّصين المُتَرَخّصين دعاة التفسّخ والتَهَرُّؤ والهزيمة ، وربنا الرحمٰن المستعان .

١٠ – لم أطوّل النَّفَسَ فى علوم الآلة والمصطلحات الفنيّة الدقيقة – إذ ليس هذا موضعه – وإنما هو كتاب عامة كما اسلفنا القول ، اللّهم إلا أن تمسّ حاجة أو تدعو ضرورة .

١١ – سيقابل القارىء الكريم – كثيرا – قولى : « قال شيخ الإسلام ... كذا » فإذا لقيتنى أطلقتها – هكذا – فاعلم أنى أقصد بها الحافظ الجبل ابن حَجَر – رحمه الله تعالى – فإن كان غيره قيَّدتُ ، فليعرف ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

١٢ – قمت بتخريج الآيات القرآنية وتعيين رقم الآية واسم السورة وأتبعتها موضعها من الأصل بين معكفين [/] وبعد .. فهذا – إجمالا – منهج عملى القليل وجهدى الكليل فى هذا الكتاب الذى أرجو الله عَزّ وَجَلّ أن ينفع به .

فإنّ علم الله – تقدّست أسماؤه – صِدْقَ نيّتى وصَفَاءَ طَوِيّتى وَنَقَاءَ سَرِيرَتى وإخلاصى وتجرّدى فى عملى فيه ، فسيُبْلغه الموقع الذى أردت من إصلاح مسارات السّلوكات المعوجّة ، وسيفتح الله تعالى به قلوبًا غُلفًا وآذانًا صُمًّا وأعيُنًا عُمْيًا ، وَسَيُقيم به على الطريق أقْدَامًا انحرفت عن الجادة وجانَبَت الاستقامة أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعل لى غُنْمَه وأن يُجَنّبَنِي غُرْمَه ، وأن يدّخره لى فى خزائن رحمته ليوم تكون فيه العاقبة للمتقين وأن يُثِيبَ به كاتبه وجامعَه ؛ وقارِءَهُ وسامعه واستغفر الله العظيم من كل خطأٍ أو خطيئةٍ قلتها بلسانى أو خططتها ببنانى ، فما – والله – أردت ولا قصدت إلا الخير – يعلم ذلك الذى يعلم

ما تخفى الصّدور وما يختلج فى النحور ، لا ربّ غيره ولا إله سواه .
﴿ ربّنا إننا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى للإيمَان أنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّر عَنّا سَيِّئاتنا وَتَوَفَّنا مَعَ الأبْرَارِ * رَبَّنا وَءاتِنا مَا وَعَدْتَنَا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخزِنا يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ إنّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلمِيعَادَ ﴾ [آل عمران – ١٩٣ – ١٩٤] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

وصلى الله تعالى وَسَلّم وَبَارَكَ عَلى مُعَلّم النّاسِ الخير سَيّدنا محمد وَآله

قالهُ بلسانه وقيّدهُ ببنانه

راجي عفو ربه المَنّان

عبيد الله المصرى الأثرى أبو عبد الرحمن

لسبع ليال خَلَت من ذى الحجة المبارك

من العام الثامن بعد المائة الرابعة والألف

الأول من الهجرة المباركة على صاحبها

صلوات الله وسلامه مَا كَرَّ الجديدان وتَعَاقَبَ الحَدَثَان

التَّعريفُ بالمُصَنِّف رحمه الله

هو الإمام الحافظ الفقيه الخطيب البارع المُجوِّد العلامة أبو محمد عبد الحق ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد الأزدى الأندلسى الإشبيلى المعروف فى زمانه بابن الخَرَّاط . أحد الأعلام ومؤلف الأحكام الكبرى والوسطى والصُّغرى .

« **مولده** » : قال الإمام النووى رحمه الله : « مولده فى شهر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة » . وقال الإمام الذهبى رحمه الله : مولده فيما قيده أبو جعفر ابن الزبير سنة أربع عشرة وخمسمائة (!) .

قال :حدَّث عن أبى الحسن شريح بن محمد،وأبى الحكم ابن برجان ، وعمر ابن أيوب ، وأبى بكر ابن حدير ، وأبى الحسن طارق بن يعيش ، والمحدث طاهر بن عطية ، وطائفة .

سكن مدينة بجايه وقت الفتنة التى زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنيّة (نسبة إلى بنى عبد المؤمن ، فنشر بها علمه ، وصنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وسادت بـ « أحكامه الصُّغرى » و « الوسطى » الرُّكبان وله « أحكام كبرى » قيل هى بأسانيده ، فالله أعلم .وولى خطابة بجاية .

ذكره الحافظ أبو عبد الله البَلَنْسِىُّ الأبّار فقال : كان فقيهاً ، حافظًا ، عالمًا بالحديث وعلله ، عارفًا بالرجال ، موصوفًا بالخير ، والصلاح ، والزهد ، والورع ، ولزوم السنة ، والتقلّل من الدُّنيا ، مُشَارِكًا فى الأدب ، وقول الشعر ، قد صَنَّف فى الأحكام نسختين : كبرى ؛ وصغرى ، وسبقه إلى مثل ذلك الفقيه أبو العباس ابن أبى مروان الشهير بلَبْلة ، فحَظِىَ الإمام عبد الحق دونه . (!)

قال الإمام الذهبى : « قلتُ وعمل « الجمع بين الصحيحين » بلا إسناد على ترتيب مسلم ، وأتقنه وجَوَّده » .

قال الأبار : « وله مصنف كبير جمع فيه بين الكتب السّتة ، وله كتاب « المعتل من الحديث » وكتاب « الرقاق » ومصنفات أخر قال الإمام الذهبى : قلت وله كتاب « العاقبة » فى الوعظ والزُّهد » ا.هـ .

قلت : وهو كتابُنَا هذا الذى بين يديك (!) قال الأبار : وله فى اللُّغة كتاب حافل ضاهى به كتاب « الغَرِيبَيْن » لأبى عُبَيْدٍ الهروىّ وقال : ولد سنة عشر وخمس مئة ، وتوفى ببجاية بعد محنةٍ نالته من قبل الدولة فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة ا.هـ .

* قلت : فى الهامش : « الذى فى النسخة الخطِّية من « تكملة ابن الأبار » : « اثنتين (يعنى إثنتين وثمانين) ا.هـ – وهو يوافق ما عند الإمام النووى فى « تهذيب الأسماء » (٢٩٣/١) حيث قال : وتوفى ببجاية فى أواخر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ا.هـ .

قلت : وفى « الشذرات » (٢٧١/٤) فى « حوادث سنة إحدى وثمانين وخمسمائة » قال ابن العماد رحمه الله : « وفيها عبد الحق بن عبد الرحمن أبو محمد الأزدى الإشبيلى .. ، ... ، ... ، نزل بجاية وَوَلِىَ خطابتها ؛ وبها تُوفِّى بعد محنة لحقته من الدولة فى ربيع الآخر عن إحدى وسبعين سنة ، وكان – مع جلالته فى العلم – قانعًا مُتَعَفِّفًا موصوفًا بالصَّلاح والورع ولزوم السُّنة ا.هـ .

قال الإمام الذهبى : « روى عنه خطيب بيت المقدس أبو الحسن على بن مُحَمّد المعافرى وأبو الحجَّاج ابن الشيخ ، وأبو عبد الله ابن نقيمش ، ومحمد بن أحمد ابن غالب الأزدى ، وأبو العباس العزفى [فى الحاشية بزاى : رئيس سبته الأمير العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمى العزفى ، كان زاهدًا إمامًا مُفْتِيًا مُتَفَنِّنًا ، ألّف كتاب « المولد » وجوّده ، مات سنة «٦٣٣» ص – ٤٥٣] ؛ وآخرون .

وصنف الحافظ القاضى أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الحميرى الكتامىّ الفاسى المشهور بابن القطان كتابًا نفيسًا فى مجلدتين سَمَّاهُ « الوهم والإيهام »

فيما وقع من الخلل فى الأحكام الكبرى لعبد الحق يناقشه فيه فيما يتعلق بالعلل وبالجرح والتعديل ، طالعْتُه ، وعلقت منه فوائد جليلة .

قال فى الحاشية : « كان ابن القطان قد أقام بمراكش عند بنى عبد المؤمن وكان رأس العلماء بها ، توفى سنة «٦٢٨» ابن القاضى « جذوة الاقتباس » «٢٩٨» ، والذهبى فى « تاريخ الإسلام » الورقة (٧٢) أيا صوفيا (٣٠١٢) وابن ناصر الدين فى « التبيان » ، الورقة : (١٥٢) وقد وقع ابن القطان نفسه بأوهام كثيرة فى رَدِّه ، قال الذهبى فى « تاريخ الإسلام » : « طالعت جميع كتابه « الوهم والإيهام » الذى عَمِلَهُ .. يدل على تبحّره فى فنون الحديث ، وسيلان ذهنه ولكنه تَعَنَّتَ وتكلّم فى حال رجال فما أنصف » (الورقة : ٧٢ – أيا صوفيا (٣٠١٢) وقال ابن ناصر الدين فى « التبيان » بعد أن ذكر كتابه : « ولابن القطان فيه وهم كثير نبَّه أبو عبد الله الذهبى فى منتقى منه كبير » (الورقة – ١٥٢) ويرى الدكتور بشار أن الذهبى أفرد الرد على ابن القطان فى كتاب خاص منه مختصر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (انظر كتابه : الذهبى ومنهجه : (١٧٣ – ١٧٥) ا.هـ . قال الإمام الذهبى ومن مسموع الحافظ عبد الحق « صحيح مسلم » يحمله عن أبى القاسم ابن عطية قال أخبرنا محمد ابن بشر قال أخبرنا أبو على بن سُكّرة الصدفى أخبرنا أبو العباس بن دلهاث العذرى أخبرنا الرازى بإسناده ا.هـ .

قلت : فهذا هو السّر فى إكثارِهِ من النقل عن صحيح الإمام مسلم والإحالة عليه وتقديمه على صحيح الإمام أبى عبد الله البخارى بصورة واضحة وبشكل جَلِىّ (!)

قال الإمام الذهبى وقد أنبأنا « بالأحكام الصُّغرى » الإمام أبو محمد ابن هارون فى كتابه إلينا من المغرب ، قال أخبرنا أبو الحسن على بن أبى نصر بسماعه من المُصَنِّف أبى محمد عبد الحق .

قال ابن الزبير فى ترجمة عبد الحق : كان يُزاحم فحول الشعراء ، ولم يُطلق عنانه فى نُطقه .

قلت : ما أحلى قوله وأوعظه إذ قال :

إنَّ فى الموتِ والمعادِ لشُغْلًا وادَّكارًا لذي النُّهَى وبلاغَا
فاغْتَنِم خُطَّتَيْنِ قَبْل المنايا صحَّة الجِسْمِ يا أخي والفراغا

قال فى الحاشية : « نقل الذهبى هذين البيتين من « التكملة » الأبارية : ٣/الورقة «٣٨» ، وأوردهما ابن شاكر فى « الفوات » (٢/٢٥٧) .

وساق له الإمام الذهبى – بإسناده إليه إلى أبى عيسى الترمذى حدثنا محمود ابن غيلان ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة عن قتادة ، سمعت عبد الله بن أبى عتبة يحدث عن أبى سعيد قال : كان رسول الله – ﷺ – : أشد حياءً من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئًا عرفناه فى وجهه » .

وإسناده صحيح – كما قال الأستاذ شعيب الأرناؤوط فى الحاشية ، قال : وهو فى الشمائل برقم «٣٥١» للترمذى وأخرجه البخارى (٦/٤٢١) فى « الأنبياء » : باب صفة النبى – ﷺ – و (١٠/٤٣٤) فى الأدب باب الحياء ومسلم (٢٣٢٠) فى فضائل النبى – ﷺ – باب كثرة حيائه ، كلهم من طريق شعبة ، عن قتادة عن عبد الله بن عتبة مولى أنس ، عن أبى سعيد .

قلت : هذه نُبذة مختصرة يسيرة عن الإمام عبد الحق الإشبيلى – رحمه الله – وإثبات نسبة الكتاب الجليل إليه .

وقد ذكره وأقتبس منه واستفاد به جَمْعٌ كبيرٌ من أئمتنا المحدثين والمفسِّرين والفقهاء الذين عاصروا الإمام أو جاءوا بعده . فمنهم مثلاً :

الإمام الحافظ المحدث المفسر المؤرخ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله ، حيث ذكر هذا الكتاب واشترك مع باقى الأئمة فى تسميته ،حيث قال : فى نهاية البداية والنهاية (الفتن والملاحم) (١/٢٠٠) فى باب (ذكر أسماء يوم القيامة) :

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلى فى كتاب (العاقبة) : يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة ؟ .. ، ثم شرع ينقل عنه أسماء اليوم العظيم نسأل الله النجاة من أهواله بمنه وكرمه إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه وهو كتاب ما أظن أنى بحاجة للإطناب

فى وصفه أو الثناء عليه ، فإنه يتكلم بنفسه عن نفسه بما لن يسعفنى خاطرى به .

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يتقبل عملى فيه بقبول حسن وأن يدخر لى ذخره ليوم تكون فيه العاقبة للمتقين .

وقد علم الله تقدست أسماؤه أنى قد بذلت فيه جهدى وما آلوْتُ مع أنى لا أدعى العصمة من الخطأ والسهو فهذا لا يكون إلا للأنبياء المعصومين – صلى الله عليهم أجمعين – بل أوضحت ما ظهر لى فيه فليوضح أخٌ كريمٌ وقع كتابى فى يده ووقف على كلامى فيه ما ظهر له ، فما القصد إلا بيان الصواب طلبًا للثواب .

وإنى ناشد الله أخًا كريمًا وقع فيه على عثرة أو ذلة أو هفوة أو خطأ أن يتقبل ذلك منى بصدر رحب وأن يدعو لى بالمغفرة ، فما من أحد عن الخطأ بنحوى إذ هو لازمُ البشرية وقد يفوتنى الشيءُ بعدَ الشيءِ فيه ، وذلك أمر وارد ، فإنى ما قصدت أن أتقصّى وليس ذلك فى مقدورى ولا يسلم الاستقصاء لأحد فلو عورض كتاب ألفَ مرةٍ لوُجِد فيه خطأ فقد أبى الله العصمة إلا لكتابه كما يقول أئمتنا وسادتنا لله درّهم وعليه شكرهم وإنى أسأل ربى – جلّ ذكره أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وجامعه وناظره وسامعه إنه سبحانه المسؤول أن يفتح به أعينا عميًا وآذانا صُمًّا وقلوباً غلفًا ونُفُوسًا ماتت أو إستماتت تحت وطأة الهوى واستيطان العجز وإيثار الخمول وأن يجعلنى من أول المنتفعين به إذ أننى لست عن كل ما أوردت بمنأى (وَمَا أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكم إِلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ . إِنْ أُرِيدُ إِلّا الإِصلاحَ مَا آسْتَطعْتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *) .

قاله بلسانه وقيده ببنانه
راجى عفو رَبّه الغفور
أبو عبد الرحمن المصرى عبد الله الأثرى
عَامَله الولىّ بلطفه الخَفّى
لسبع ليال خلت من شهر الله المحرم
عام ألف وأربعمائة وثمان
من هجرة خير من وطىء الحصى نبينا مُحمَّد صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم

وصف مخطوطة الكتاب (العاقبة)

توجد مخطوطة هذا الكتاب الطيب فى معهد المخطوطات تحت رقم (٢٩٧) تصوف ويشير فهرس معهد المخطوطات أن لهذه المخطوطة ثلاث نسخ موجودة بالمكتبة الظاهرية

١ – نسخة برقم (٢٣٥) تحتوى على (١١٣) ورقة قياس ١٨ سم × ٢٠ سم.
٢ – نسخة أخرى [أحمد الثالث] برقم (١٥٤٦) تحتوى على (٢١٩) ورقة قياس ١٧ سم × ٢٥ سم.
٣ – نسخة ثالثة [خزينة] برقم (٢٤٢) تحتوى على (٢٢٢) ورقة قياس ١٦,٥ سم = ٢١ سم. وهى أجملهم.

وقد اعتمدنا على منسوخة معهد المخطوطات بعد أن راجعناها على النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية وهى:

١ – الموت والحشر – دار الكتب – مصورات خارج الدار (١٦٤١٧).
٢ – العاقبة – دار الكتب – مصورات خارج الدار (٨٧٤).
٣ – العاقبة – دار الكتب – مصورات خارج الدار (٨٧٥).

أما عن وصف مخطوطة الكتاب التى اعتمدنا عليها فهى كالتالى :

تحتوى هذه المخطوطة على (١١٣) ورقة، قياس الورقة ٢٨سم × ٢٠سم، وكل ورقة تحتوى على (٢٥) سطراً، كل سطر يشتمل على ما بين (١٦:٩) كلمة.

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخى جيد عدا بعض الكلمات القليلة جداً وخاصة فى بعض الأشعار التى وجدت فى ثنايا الكتاب مثل صفحة ٨٥، ٨٧ بالمخطوط وغيرها من الصفحات القليلة والموجودة فى نهاية الكتاب تقريباً.
وهذه النسخة معنونة باسم (الموت والحشر والنشر) أو العاقبة.

الناشر
أبو حذيفة

كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الفقيه ابو محمد عبد الحق بن عبد الله الازدي رحمه الله عليه

الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة وكبت بعد عتو
ظهور الأشاوس وقصر بقصته آمال الأعاصر الذي أدار
على حلقته الدائرة ولخذم بيده التاعرة فقد نهم
المنايا الخابرة وصيرهم صارعا الى الوقعة التاعرة
صحوا فما خبروا النساء ولم يحصلوا على شيء من الاخبار
معينة والله لا يخبر عنها ولا يتجرع غصابها ولا يتقي
للامنها ولا ارصادها ثم يمنعهم ما حشدوه من المعاقل والحصون
ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون ولا نداهم من رئيس
المنون ما ذخروه من عتيق مصون وذهب يخرون على
صدورهم بركبه الشديد ولحمهم بحبله المديد
وانفذ فيهم ما كتب عليهم الوعيد فعلهم من لين المهود
الى خشونة اللحود وصيرهم بين مجحرها المخدود وخدها
اكلا للهوام وللذود فطر الدهر بعيد الشوساء
وارسل عليهم كتيبة الحرساء فاذا هم عن آخرهم القصاء
وازال من نعيهم ما شاء وانطق بالعويل منهم السنة
الفرشا وصيرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى

كتاب العاقبة
للفقيه الامام عبد الحق
الازدي الاشبيلي رحمه الله تعالى

الصورة الخاصة بالصفحة الاولى
من المخطوط

علاق المخطوط

دار الصحابة للتراث
للنشر والتحقيق والتوزيع
ت: ٢٣١٥٨٧ ـ ص.ب: ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة ، وقصر ببغتته آمال القياصرة ، الذى أدار عليهم حلقته الدائرة ، وأخذهم بيده القاهرة ، فقذفهم فى ظلمات الحافرة ، وصيرهم بها رهنًا إلى وقعة الساهرة ، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولن يحصلوا على شيء من الآخرة ، مصيبة والله لا يجبر مصابها ، ولا يتجرع صبابها ولا تنقضى آلامها ولا أوصابها ، لم يمنعهم ما حصنوه من المعاقل والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون ، ولا فداهم من ريب المنون ؛ ما ذخروه من علق مصون ، وذهب مخزون ، بل صدمهم بركنه الشديد ، وطحنهم بجيشه المديد ، وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من الوعيد ، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود ، وصيرهم بين حجرها المنضود ، وجند لها أكلا للهوام والدود ، ونظر إليهم بعينه الشوساء ، وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عزتهم القعساء ، وأزال من نعمائهم ما شاء ، وأنطق بالعويل منهم ألسنة الخُرَساء ، وصيرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال ، والأسرة والحجال ، إلى الحجارة والرمال ، والأزاقم والصلال ، وشظف العيش بضيق المحالّ وجَلوا بَرَيح غير محلال ، بحيث لا زوال ولا انتقال ، ولا عثرة تقال ، ولا يسمع فيها كل مقال ، ولا يلتفت عندها إلى كل من قال ، أرسل عليهم ربك جنوده العاتية ، وأخذهم أخذته الرابية ، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية ، وقيل فى أمثالهم :

حدث حديث القوم من فارس ومن بنى قبط ويونان .
ومن بنى الأصفر أعجب بهم وسيبدأ الأتراك خاقان
والأقدمين الأعظمين الألى من حمير أبناء قحطان .